

للاندماج اليهودي في المجتمعات القديمة رفدت منذ بدء القرن التاسع عشر في أوروبا بعوامل اقتصادية اجتماعية كان من نتيجتها ظهور نقمة شعبية ضد اليهود حالت دون اندماجهم المنتظر في المجتمعات الأوروبية المتطورة . وقد وجد الرأسماليون اليهود في ذلك الوضع فرصة مواتية لتكتيل يهود أوروبا، فعملوا على استغلال اوضاع اليهود وتضخيمها من جهة، وعملوا من جهة ثانية على الاستفادة من النزعة القومية التي كانت تمد بلغت أوجها آنذاك، وقاموا بتعبئة اليهود الأوروبيين بأوهام القومية اليهودية، وتغذية خيالهم بأحلام « الأرض الموعودة » ، والتشويق الى صهيون ، وصرفهم عن النضال في مجتمعاتهم ومن خلال نضال الطبقات الواقعة تحت الاستغلال لتغيير واقعهم الاقتصادي والاجتماعي .

وبطبيعة الحال ساعدت الحركة الصهيونية على استمرار (المسألة اليهودية) لا على حلها ، بل انه في مراحل عديدة كان على القادة الصهيونيين أن يشجعوا الاضطهاد الأوربي لليهود وأن يعطوه أبعادا جديدة حتى يضطروا الجماهير اليهودية الى الهجرة الى فلسطين والتجاوب مع المخططات الاستعمارية . وكان الفكر الصهيوني البراغمي (النفعي) يعي ذلك منذ القديم ، وقد جاء في يوميات هرتزل : « سوف يصبح أعداء السامية أفضل أصدقائنا القريبين ، والبلدان المعادية للساميين من حلفائنا » .

ودعا هرتزل نفسه — كما دعا وايزمن فيما بعد — الى الاستفادة من تيار (الاسامية) من أجل خلق الفردية اليهودية . ودلت ممارسات الصهيونيين خلال فترة الحكم النازي على أنهم لا يمانعون في اضطهاد اليهود أملا في أن يؤدي ذلك الى تعبئة يهودية شاملة باتجاه الهجرة . بل ظهرت مجددا دلائل تشير الى أن بعض زعمائهم كانوا ضالعين في عملية الاضطهاد من أجل أهدافهم السياسية(٣) .

[٢]

ومنذ ظهور الافكار الصهيونية قام مفكرون في أوربه وأميركا من خلال زوايا مختلفة ، باظهار بطلان الدعوى الصهيونية ، وكشف الاستغلال الاستعماري الصهيوني لاطراف اليهود ، والتأكيد على أن الصهيونية لا تقدم حلا لما يسمى (بالمسألة اليهودية) بل تعقد مشكلة عدم الاندماج اليهودي وتزيدها خطورة . الا ان هناك شيئا جديدا طرأ بعد حرب تشرين الأول ١٩٧٣ وهو بدء ظهور بوادر (اعادة نظر) عند الاسرائيليين واليهود فيما يتعلق بالمبدأ الصهيوني للدولة وبطبيعة الفكر الصهيوني . وعلى الرغم من أن هذا الأمر لا يعني بالنسبة للموقف العربي اية نتائج عملية في المستقبل المنظور، فانه يعتبر ذا أهمية خاصة من الناحية النظرية لانه يتضمن فيما يتضمن تأكيدا جديدا على صحة الفهم العربي للقضية ، ذلك الفهم الذي أصر دائما على أن الصهيونية حركة استعمارية قامت على أساس استغلال (المسألة اليهودية) وليس على أساس ايجاد حل لها .

ولنستعرض أولا بعض المواقف الفكرية في أوروبا وأميركا ، ثم نقرنها ببعض المواقف الجديدة عند يهود واسرائيليين . وبالطبع لسنا هنا في معرض استقصاء هذه الآراء ، إنما نحاول تقديم عينات لها دلالاتها .

— في منتصف القرن التاسع عشر أكد (كارل ماركس) الذي لفت نظره التضخيم المصطنع (للمسألة اليهودية) ان هذه المسألة من شأنها ان تنتهي بانتهاء النظام القائم على الاستغلال وان « التحرير اليهودي في معناه الأخير يقوم على تحرير الانسانية من اليهودية » . وان « التحرر الاجتماعي اليهودي إنما هو تحرير المجتمع من اليهودية » . ذلك ان « المال هو اله اسرائيل المطامع » ويعتقد اليهود انه « لا ينبغي ممة لاي اله ان